

أمثال القرآن

[291] ولأجل هذا الجواب الصريح كانوا ينسبون له الجنون؛ لأن شخصاً يترك أفضل النساء والجاه والمقام والثروة لغرض الدعوة للتوحيد لابدّ وأن يكون - حسب عقليتهم - مجنوناً. نعم، إنّ الموحدين مجانين من وجهة نظر عبدة الدنيا، الموحدين عندما يجد ضالة في الشارع أو الزقاق يسعى متواصلاً للحصول على صاحبها، وهذا العمل يُعدّ جنوناً من وجهة نظر الدنيويين؛ لأن العقل من وجهة نظرهم هو عبادة الدنيا، أمّا الطهارة والتقوى فجنون! من هذه التهم التي أطلقها الأعداء نفهم أن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان رجلاً لا يراهن على مبادئ الإسلام ولا يستبدلها بأي شيء، ولذلك دُعي مجنوناً ومسحوراً. ونستفيد من نسبة الكهانة إليه أنه كان يعلم الغيب ويخبر عنه دون أن يخطأ بحيث يصدق إخباره ويتطابق مع الواقع، ولهذا جاء ما يلي في الآيات الأولى من سورة الروم: (غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۚ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْعَرُ الْمُؤْمِنُونَ بِذَمِّرٍ ۚ يَذُمُّرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ). وفقاً للآية غُلِبَتِ الروم بواسطة الفرس، وبعد فترة غير طويلة غلبت الروم الفرس، وتزامن مع ذلك انتصار المسلمين، وعندما شاهد الكفار تحقق هذا الأمر وصدق إخبار الرسول بالغيب نسبوا إليه الكهانة، واين هو من الكهانة مع أن إخباره عن الغيب يكشف عن واقع وحقيقة مستقبلية لا كذباً ولا وهماً. لماذا نسبوا إليه الشعر؟ سبب نسبة الشعر إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) هو أن آيات القرآن كانت فصيحة وبليغة وموزونة بدرجة استقطبت قلوب الناس، فما كان مفرّجاً للكفار إلاّ أن يقولوا: إنّّه شاعر، وقد أجابهم القرآن الكريم من الآية 69 من سورة ياسين بما يلي: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْدِيغِي لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ). نسبة الشعر للرسول (صلى الله عليه وآله) تكشف عن جاذبية ولطافة وطلاقة في القرآن. ونسبة السحر للرسول (صلى الله عليه وآله) تحكي عن آثار مهمة ومعجزة ترشّحت عن الرسول (صلى الله عليه وآله)، الأمر الذي أعجزهم عن مواجهته بالحق والحقيقة والواقعية فاضطرّهم ذلك لإلصاق هذه